

الغلاة.. وبقرة بني إسرائيل!

بقلم: أحلام النصر - حفظها الله تعالى -



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* * *

الحمد لله الذي أكرمنا بدين الإسلام، والصلاة والسلام على هادي الأنام بإذن ربهم إلى دار السلام، وعلى آله وصحبه الكرام، أما بعد:

فالجهل آفة خبيثة مدمرة، تدمر صاحبها، وتجعله عبداً لها ليدمر ما حوله بدوره! والعلم نور، والجهل ظلام، وإنما يخشى الله من عباده العلماء، و"مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا: يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ".

وإن مما ابتليت به هذه الأمة: أنماط متعددة من الجهال ذوي الخبال؛ فإضافة إلى ما تذوقه من الكفرة والمرتين: هنالك أيضاً الفسقة والمبتدعة، ومنهم الغلاة، الذين يستमितون في الطعن بدولة الخلافة أعزها الله تعالى، ويحاولون التشويش على الناس بشبهات عجيبة!

وبداية: أودّ التأكيد على أمر مهم جداً يتجاهله الجهلة؛ وهو أن دين الإسلام دين متناهي الدقة في الأحكام، بعيداً عن الفوضوية والعشوائية، وإن جزئية واحدة أو تفصيلاً صغيراً: قد يغير الحكم كله، والفقيه ليس كالسفيه، والعالم ليس كالجاهل!

من جهة ثانية: دولة الخلافة أعزها الله: لا تجامل أحداً كائناً من كان، ولا تستقطب الشعوب كما يزعم هؤلاء الغلاة المغرضون؛ فديننا ليس دين ديمقراطية ولا أكثرية، بل دين الحق ولو كره الكارهون، ولكن الخلافة ببساطة: لا تؤسلم الكافر كما لا تكفر المسلم! لا تجامل المرجئة كما لا تجامل الغلاة!

بل لو كانت تريد الاستقطاب كما يكذبون: لَعَذَرْتُ بِالْجَهْلِ فِي أَصْلِ الدِّينِ؛ إذ أصحاب هذا الكلام من الخصوم: أكثر عدداً من الغلاة! يَبْدُ أنها لم تفعل؛ لأنها تتحرم الحق، ولا يهمها أحد! ثبتها الله، ولا نزكيها على الله.

وبمناسبة موضوع الجهل في أصل الدين؛ سأضرب مثلاً صغيراً لتقريب الفكرة، قبل الرد على الغلاة: لو أن شخصاً يحب الطب مثلاً، ويطمح إليه، ولكنه لم يدرسه ولم يزاوله بعد؛ فهل نستطيع أن نعتبره طبيباً، ونكذب عليه وعلى أنفسنا؟! لا طبعاً، مجرد الرغبة لا يكفي، بل لا بد أن يأتي المرء بالأمور التي تؤهله ليكتسب لقب الطبيب؛ من الدراسة والحدق والممارسة، إلى آخر ذلك.

كذلك، بل من باب أولى؛ مَنْ لم يأتِ بأصل الدين: فلا يمكن أن نخدعه ونغشّيه وننسبه للإسلام! شخص يعبد الطاغوت، أو يسجد لقبر، أو يقلل من احترامه للإسلام ويعتبره شيئاً خاضعاً للتصويت؛ فهذا ليس بمسلم، ولو قال إن ربه هو الله؛ لأن الله تعالى لا يقبل أن يُشرك معه أحد في العبادة، ولو كان ملكاً أو نبياً، فكيف بشياطين الإنس والجن، وزبالة الأفهام؟! وكفار قريش: كانوا يؤمنون بوجود الله، وأنه الرب الخالق، ولكنهم عبدوا معه آلهة أخرى، فتأمل.

إلا أن الغلاة الجهلة تلبّست عليهم بعض الأمور، فضلوا وأضلّوا، هذا إذا أحسنّا الظن فيهم، أو لنقل: في عوامهم والمتأثرين بشبهاتهم، أما إذا نظرنا إلى حال البعض منهم: رأينا وجه المخابرات القبيح المتربّص!! وستجد التوضيح في السطور القادمة بعون الله تعالى.

إذا؛ لنرأيها الغلاة!

يقولون: "كل الشعوب كافرة، ولا تتنازل ونحكم لأحد بالإسلام، ونعطيه صك الخلاص: إلا إذا عرفناه وعرفنا منهجه وتأكدنا منه!! والظاهر لا يكفي!".

سبحان الله! نسي هؤلاء القوم أنه لن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه الدين! وتشبهوا بحال بني إسرائيل مع البقرة الصفراء!

أولاً: كيف ستعرفونه وتتأكدون منه ومن منهجه؟! ستخترعون جهازاً لكشف النوايا؟! أم ستخترقون حجاب قلبه؟! وهل يعلم الغيب إلا الله؟!

بل هبوا أن جاءكم شخص، وتكلم بكل الكلام الذي يعجبكم ويرضيكم ويُسيلُ مدامعكم تأثراً، حتى حصل على شهادة الإسلام من حضرات جنابكم(ا)، وبدرجة امتياز، بينما هو في حقيقته وباطنه: كافر أثيم وشيطان زنيم! فبناء على ماذا أسلمتموه؟! أليس بناء على الظاهر الذي أبداه لكم؟! فما لكم تنكرون علينا منهج السلف: "نحكم بالإسلام لمن أظهره لنا ولم يتلبّس بناقض، ولنا الظاهر، والله يتولى السرائر"؟!

النقطة الثانية: إن جاء شخص من الناس -وباعتباره من الناس: فالأصل فيه هو الكفر عندكم حتى يتبيّن لكم العكس!-، ثم ظهر أنه موحد فعلاً؛ فعلى أي أساس حكتم عليه بالكفر أولاً؟! لمجرد أنه من الناس ومن الشعوب؟! هل انتماءؤه لبني البشر ناقض من نواقض الإسلام؟! وأنتم لمن تنتمون؟!!

أو لنقل إنه قد مات قبل أن تؤسلموه، وتعلّق برقابكم يوم القيامة، وقال: يا رب؛ سل هؤلاء فيم كفرونني وأنا موحد؟!!

ما هو جوابكم؟! تراكم ستقولون: "لم نستطع الكشف عن قلبه، ومنهجنا لا يكتفي بالظاهر"، وأنتم لا بد واقعون في الأخذ بالظاهر؟! قد يقول قائل من الغلاة: فهل إذا قال النصراني أو الرافضي: "أشهد ألا إله إلا الله"، نأخذ بظاهرهما، ونحكم بإسلامهما، وهما باقيان على كفرهما واعتقاداتهما الشريكية؟

الجواب على هذه الشبهة التي يدندن بها بعض الغلاة: أن هذا المثال لا يصلح قياساً على أخذنا لعوام المسلمين بظاهرهم، لماذا؟ لأن هذا النصراني وذاك الرافضي: ظاهرهما الشرك!

ومتى ما اختلف الفرع عن الأصل، ولم يتّفقا في علة الحكم: صار القياس فاسداً، كما يخبرنا علم أصول الفقه.

بعبارة أخرى: قد يقول شخص: أشهد ألا إله إلا الله؛ هذا ظاهر، ثم نجده ساجداً عند قبر، أو غير ذلك من مظاهر الشرك؛ فهذا أيضاً ظاهر! لاحظنا كيف هو ظاهره؟ قالها نعم، ولكنه سجد للقبر مثلاً، وكلا الأمرين ظاهر، ولأن النقيضين اجتماعاً، والله عز وجل لا يرضى أن يُشرك به؛ فحكم هذا الشخص أنه كافر، وظاهره هذا دللنا على ذلك، بغض النظر إن كان جاهلاً أو عالماً؛ فلا عذر بالجهل في أصل الدين.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بالحاح: ما ذنب الناس الآخرين؟ وما علاقتهم بهذا الشخص أو غيره من الأساس؟! ما دام ظاهراً الإسلام، وعدم ارتكاب شيء من النواقض، فكيف لا نحكم عليهم بأنهم مسلمون؟! ما هو المانع؟! لن يمكننا الكشف عن قلوبهم، ولا معرفة صدق نواياهم!! بل ولا يصح أن يجروا أحد على التفكير في التجاسر والجراءة على ما اختص الله تعالى به من علم الغيب، تلك وقاحة وسوء أدب يا من تزعمون بلوغ كمال التوحيد! الزموا حدّكم؛ فلستم سوى بشر قاصرين، لا تعرفون ما سيجري عليكم خلال اليوم نفسه فضلاً عن الغد، فضلاً عن معرفة ما تخفي الصدور!!

النقطة الثالثة: من المعروف بداهة أننا الآن في زمن عصيب، اغتصب فيه الكفر الحكم، وهيمن بظلمه وفساده، وليس من الصواب أن يُسجن الموحّد مجاًناً هكذا بلا عمل أو إثخان، ولا أن يرمي بنفسه في التهلكة؛ ولهذا يتخفّى كثيرون، ويخفون مناهجهم، ويلجؤون للأمنيات، ولنفرض مثلاً: أن شخصاً له كنية مستعارة في الإنترنت؛ يتكلم من خلالها بحرية، ويفصح عن منهجه، بما يوحي أنه مناصر صميم لا مجرد مسلم عادي، بينما هو في حياته العامة واسمه الحقيقي: يتخفّى، ويتظاهر بأنه مسلم عادي، بما يكفي للحكم بإسلامه عند متّبعي السلف -وليس عند الغلاة طبعاً-؛ فما الحل هنا؟! نعتبره مسلماً وفق القاعدة الصحيحة: "مَن أظهر لنا الإسلام.... الخ"؟! أم نعتبره مسلماً بشخصيته الإلكترونية وكافراً بشخصيته الحقيقية؟! أي انفصام شخصية هذا؟!!

ولو أن شخصاً من الغلاة استوقفه في الشارع ليسأله عن منهجه؛ فمن حق هذا الشخص أن يداري ويوارى، بل من حقه أن يشك في انتساب السائل إلى المخابرات!!

النقطة الرابعة: الكفر عندما يحكم: تصبح الدار دار كفر؛ بسبب الأحكام التي تسودها، وهذا لا يعني الحكم بالكفر على السكان إلا مَن كان كافراً فعلاً!

والإسلام عندما يحكم -أعاد الله التمكين-: تصبح الدار دار إسلام، وإن كان فيها أهل ذمة! لا علاقة للدار بساكنيها، عودوا إلى التاريخ وانظروا؛ أمّا عاش اليهود والنصارى في ظل الحكم الإسلامي؟! فهل صاروا مسلمين بسبب إسلامية الدار؟! أم صارت الدار دار كفر بسبب وجودهم فيها؟! لا هذا ولا ذاك! هم أهل ذمة في أرض الإسلام، ببساطة، كذلك: هناك مسلمون في أراضي الكفر، لأي سبب كان: استضعاف، فسوق، قعود عن الهجرة والجهاد، بعذر، بغير عذر؛ هذا كله لا يُخرجهم عن كونهم مسلمين ما لم يرتكبوا النواقض! وأنتم معشر الغلاة: هل تقيمون في كوكب آخر؟! أم في أراضي الكفر؟! فما هو حكمكم عند أنفسكم؟!!

وهنا سأشير لنقطتين؛ لأن عشوائية الجهلة معروفة؛

النقطة الأولى: قد يقول قائل: ولكن النبي صلى الله عليه وسلم حارب اليهود، وأجلى بعضهم، وقتل من بني قريظة مَن قتل!

والجواب ببساطة: أن هذا كان بسبب غدرهم ونقضهم للعهد، وليس بسبب يهوديتهم، وإلا فقد عاشوا بعض الوقت في دولة الإسلام قبل غدرهم هذا، ويمكن لأي ذمي أن يعيش فيها اليوم، ما دام محتفظاً بأدبه، ملتزماً بحدوده، مؤدياً للجزية، خاضعاً لما يخضه من أحكام شرعية في ديننا، حتى يأتي المسيح عليه الصلاة والسلام؛ فيضع الجزية، ويكون الخيار: إما الإسلام، وإما القتل.

النقطة الثانية: عندما نقول: إن المسلم في أرض الكفر يبقى مسلماً ما لم يرتكب النواقض؛ فهذا لا يعني وصفه بأنه من أولياء الله الصالحين! الإسلام دقيق في أحكامه، وهذا الجالس في أرض الكفر: قد يكون من المستضعفين المعذورين، وقد يكون مجاهداً سرّياً، وقد يكون فاسقاً لا عذر له، ولكن فسقه لم يصل إلى الردة! فالمسألة دقيقة، وتحتاج إلى علم وفهم: مَن أظهر الإسلام ولم يتلبّس بناقض: عاملناه معاملة المسلمين، ولنا الظاهر، والله يتولى السرائر، ولسنا خوارج لنكفر بالمعاصي، وفي الوقت نفسه: هذا لا يعني رضاًنا بها!

إنما: الدين الذي أوجب علينا إقامة الحدود، ومعاقبة الفاسق، ومحاربة المنكر: هو الدين الذي حرّم علينا التكفير بالمعاصي ما لم تُستَحَلَّ، أفنؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض؟!

النقطة الخامسة: إذا توجّب على كل الناس أن يرسلوا بسيرهم الذاتية وحقيقة مناهجهم إليكم معشر الغلاة؛ لتكرموهم بصك الغفران والحكم عليهم بالإسلام؛ فماذا عنكم أنتم؟! إلى من رفعتم سير حياتكم؟! أم لعلكم سائلون لا مسؤولون؟! لعلكم تحسبون أنفسكم وكلاء عن رب العالمين على عباده؟! ما أدرانا بكم وبحقيقتكم أصلاً؟!!

النقطة السادسة: ألا تلاحظون أنكم تركّزون على مناطق شهدت عودة الخلافة وحكمها؟! الأمر الذي يعني أن بصمة الخلافة موجودة في الناس وإن زال التمكين! فما لكم؟! وفي هذا التوقيت بالذات! تشغّبون على الخلافة تاركين العدو الذي يجهر بالكفر ليل نهار! تطالبون الناس أن يخاطروا بأنفسهم وأهليّاتهم كي تصطادهم المخابرات عفواً صفواً مثلاً!! نعم؛ ما من موحد يكره أن يخاطر ويجود بنفسه في سبيل الله، في سبيل الله! حصراً في سبيل الله: إثمًا وتنكيل، قنص وقتل وأسر، وليس بمخاطرة مجنونة مجانية في سبيل إقناعكم يا من تنقسمون إلى جاهل ومخابرات!

أخيرًا: لا حاجة إلى لعب الأطفال هذا كله؛ فالخلافة أعزها الله لا تقول بإسلام الطواغيت ولا أتباعهم، ولا بإسلام من ارتكب شيئاً من النواقض عن غير إكراه(٢)، إنما تقول بإسلام من أظهر الإسلام ولم يتلبس بناقض، وسريته نكلها إلى علام الغيوب جل جلاله، الذي سينصرنا بفضله، وسيكشف لنا برحمته كل كاذب ومنافق عندما يرى منا التمسك بأحكام دينه، والأدب معه، وتفويض الأمور إليه سبحانه، دون سوء أدب أو تجاسر على الاطلاع على الغيب! الأمر الذي ليس بمقدور أحد أصلاً! فما لكم تستميتون في أن يتعلّق مسلمون بأعناقكم يوم القيامة؛ إذ كفرتموهم ظلمًا وعدوانًا وجهلاً؟!!

واعلموا -وقد يغيظكم هذا- أن في الناس مسلمين كثيرين، وأن فيهم خيرًا كبيرًا بفضل الله تعالى، ولا يمكن لأحدٍ خاصة في ظروف حكم الكفر وظلمه واستبداده ومطاردته للموحدين والموحّدات: أن يقوم بعمل إحصائيات دقيقة للناس بناء على عقائدهم! أمر لم نُكَلّف به أساسًا! كُلّفنا بتكفير من كفر، لا بسبر أغوار من لم يكفر! والتعميم ظلم، ولا يمكن الجزم بأن الناس جميعًا على وتيرة واحدة، فما لكم ولهذا كله؟! هل كلّتم الناس جميعًا فردًا فردًا، وفي ظروف الأمن والتمكين بعيدًا عن سياط المخابرات؛ فحكمتهم عليهم؟! سبحان الله، هَلّا انشغلتم بأنفسكم، وجاهدتم الكفرة، وكففتهم عن الموحدين؟!

حدّث ولا حرج -على سبيل العد لا الحصر- عن فرسان الجزيرة الذين لبّوا نداء الجهاد في شتّى الأصقاع، حدّث عن كثيرين من شباب العراق والشام -ومنها سيناء-، المجاهدين منذ أعوام طويلة، وحتى قبل اندلاع ما يسمى بالثورات، حدّث عن أبطال الإسلام في كل مكان وزمان، والذين كان ذنبهم فقط: أنهم لم يرفعوا تقارير أعمالهم للغلاة!! هه! ألا كفاكم مهزلة معشر الغلاة، شفاكم الله من هذا المرض النفسي! يظن واحدكم أنه حاذق وهو محض متحذلق، ويحسب أنه متحرّ للصواب، وليس سوى منهار في الضباب، ولاهث خلف سراب!

ولتعلموا أن ما أنتم فيه من ابتداء في الدين وافتئات على الأحكام: سوء أدب شنيع فظيع مريع مع الحي القيوم جل جلاله!! تحسبون أن في الدين نقصًا تسدّونه بتنظّعكم؟! حاشا لله، بل الدين مكتمل شاء من شاء وأبى من أبى، ولا أحد أغير من الله تعالى على دينه؛ فابقوا في حجمكم، ولا يصرفنكم التكبر عن إدراك حقيقتكم، وأنكم مجرد بشر يحول أمر الله وحكمته وابتلاؤه بينهم وبين حُجُب الغيب! وافقوها أن من يحب الدين حقًا ويغار عليه صدقًا: هو الذي يخضع لأمره، ويقدمه على حظوظ نفسه، وتأملوا في خبر الصحابة رضوان الله عليهم يوم الحديبية، واستسلامهم لأمر الله تعالى، رغم حزنهم وألمهم، وعدم وضوح الحكمة من الأمر وقتها،

وإذ هو الفتح المبين والنصر الكبير! بشرى لمن أطاعوا الله عز وجل ولم يفتنوا، اتبعوا ولم يبتدعوا، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبواب.

فأحرى بكم -إن كنتم صادقين في حب الدين-: أن توجهوا جهودكم ضد الكفرة والمرتدين، وأن تموتوا بغيظكم إن كنتم كذبةً ومخبرات!

وبالمناسبة: كفوا عن شراء الناس بالمال الوفير الذي يتساعل المرء عن مصادر تهويله!!!! أما ترون أن الخلافة أعزها الله لا تشتري أحدًا، ولا تستغل حاجة أحد، بل تعرض منهجها مؤصلاً مفضلاً معللاً مدللًا(٣)؟! ذلك شأن صاحب الحق: الحجة والبرهان، احترام العقل بإخضاعه للنقل، لا استغلال الحاجة لتسويق الباطل وتحقيق مآرب الأعداء! فأنتم وذاك، إن ما ينفع الناس سيمكث في الأرض، وإن رغمت أنوف، وإن لطمت كفوف! والحمد لله رب العالمين.

* * *

حاشية:

- (١) تعبير "حضرات جنابكم" استهزاء، لا احترام.
- (٢) قال الله تعالى: {إِلا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مِّن شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا} الآية.
- (٣) مدللًا: أي بالدليل.

بقلم ابنة دولة الخلافة:

أحلام النصر - حفظها الله تعالى -



مؤسسة التقوى الإعلامية